

(1) النصوص

راكمت مدرسة إحياء النموذج إبداعات شعرية كثيرة في مختلف البلاد العربية شرقا وغربا وبأقلام شعراء كبار أمثال ألبا ودي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم. وكان من اللازم أن يخضع هذا التراكم لدراسة علمية وموضوعية تعمل على تتبع الظاهرة ورصد خصائصها. وقد استفاد الدارسون الذين اشتغلوا على هذه الظاهرة من انفتاحهم على المناهج الغربية، عاملين على تجاوز الانطباع والأحكام الذوقية، والانتقال إلى المقاربة الدقيقة. ونقوم في هذا التحليل بدراسة نص نظري للدكتور إبراهيم السعافين يعالج الظاهرة الإحيائية، فما القضايا التي يعالجها في هذا النص؟ وما طرق العرض التي اعتمدها في هذه المعالجة؟

بقراءة الجملة الأولى من النص، نجد الجملتين «التزم الشعراء الإحيائيون طريق القدماء»، و «لم يسلكوا الطريق كما سلكه القدماء تماما». ومن هذين المؤشرين المتعارضين نسبيا، نفترض أن الكاتب لن يقبل تقليد الإحيائيين للقدماء تقليدا مطلقا، وإنما سيبرز التفاوت في هذا الصدد.

هناك بالفعل تفاوتات في تقليد الإحيائيين للقدماء؛ فهناك فئة أعيت نفسها في تقليد القدامى تقليدا حرفيا، خاصة في مجال التصوير. وقد حكم الكاتب على هذه الفئة بالفشل نظرا إلى عجزها عن توليد صور خاصة. وهناك فئة ثانية عملت على الاجتهاد لتحويل صور القدامى وتغييرها دون أن تنجح في إيجاد صور تركيبية قائمة على التوليد. وهناك فئة ثالثة نجحت في تمثيل طرق القدامى تمثلا كبيرا أطلق عليه الكاتب لفظي الإساعة والهضم، إلا أنها تفاعلت معها وامتزجت بها استنادا إلى ما تختزنه ذاكرتهم من المعاني والصور، فراحات الصور عندهم تصدر عن طبع وعفوية.

لقد أحال الكاتب على فكرة التفاوت منذ بداية النص حين أشار إلى الظروف التي تحكمته في مستوى التقليد. قلد الإحيائيون القدامى بشكل عام، غير أنهم اختلفوا في ذلك بحسب السياقات والملاسات. وهكذا كان منهم من اكتفى بالتمثل والتقليد، وكان هناك من تجاوز ذلك إلى التوليد والتصرف في معاني الأقدمين، مازجا بين التمثل وانسياب التأليف كما الحال بالنسبة إلى الفئة الثالثة التي ذكرها الكاتب.

اعتمد الكاتب في عرض قضاياها طرقا مختلفة للعرض. فقد انطلق من عرض فكرة التفاوت في تقليد الأولين بشكل عام، ثم انتقل إلى تدقيق ذلك بحسب الفئات الثلاث التي أتى على ذكرها، متبعا في ذلك مسارا استدلاليا استنباطيا انتقل فيه من العام إلى الخاص. من جهة أخرى، تبنى الكاتب لغة تقريرية اشغلت بالموضوع أكثر من اشغالها بالتزيين، وإن كان يعمد بين الحين والآخر إلى بعض المجازات التي لم تستهدف الزينة بقدر ما استهدفت التوضيح كما الحال في بنيات من قبيل «يكد ذهنه» و «فراحت صور القدماء تتثر دون وعي». ثم إنها لغة متسقة تجانست جملها وفقراتها بواسطة روابط مختلفة منها ما يفيد العطف «يقوم على الإساعة والهضم أكثر منه على التدقيق والتحقيق وكدّ الذهن»، أو التأكيد «وقد خضعت الصور عند هذه الفئة...»، أو الحصر «وإنما شئت ظروف عصرهم أن ينتهجو» وغيرها.

يتبين مما سبق أن هذا النص النظري يدقق في قضية تقليد الإحيائيين للقدماء وتفاوتهم في ذلك بحسب الظروف والملاسات. وقد اتبع الكاتب في عرض هذه القضية أسلوبا استدلاليا استنباطيا انتقل فيه من العام إلى الخاص، واعتمد لغة تقريرية مالت بعض الشيء إلى الإيجاء بغية التوضيح والإفهام، وهما طريقتان فرضتهما طبيعة المقاربة التي عملت على التزام الموضوعية والعلمية في التحليل.

والواقع أن الإحيائيين سواء أقلدوا القدامى تقليدا تمثليا أم توليديا، فإنهم ساهموا بدور فعال في انتشال الشعر العربي من براثن الانحطاط والتخلف، وفتحوا أمامه إمكانات جمة للتجديد والتطوير.

(2) المؤلفات

رواية «اللس والكلاب» لنجيب محفوظ سعي من بطلها الرئيس «سعيد مهران» إلى الانتقام من فعل الخيانة المقرّفة من الزوجة نبوية والخادم عليش، ومن فعل الانتهازية والتسلق الذي يمثله الصديق الخائن أيضا «رؤوف علوان». وقد ورد المقطع المدروس في الفصل الثامن من الرواية حين مارس فعل الانتقام الأول من نبوية وعليش اللذين وشيا بسرقات الزوج مهران، غير أنه أخطأ هدفه وقتل إنسانا بريئا سكن بيت الخائنين اللذين غادراه هربا من انتقام محتمل.

وبفعل هذا السعي إلى الانتقام، كان سعيد مهران مطاردة باستمرار. لقد شكلت المطاردة الخيط الناظم لأحداث الرواية ونموها. كان البوليس يتعقب البطل في كل الأماكن. لذلك التجأ إلى الأقنعة؛ لبس بذلة ضابط، وتنقل في الليل، والتجأ تارة إلى بيت «نور» المومس التي آوت الحبيب القديم، وجلبت له الغذاء، وكانت نافذته على العالم الخارجي. والتجأ تارة أخرى إلى بيت «علي الجنيدي» الرجل الزاهد الذي كان يرتبط بالعالم الديني أكثر من ارتباطه بالعالم الدنيوي.

وقد انتهت المطاردة باستسلام مهران الذي ضاق به المكان، وانصرفت عنه القوى الفاعلة المساعدة، فكان نجيب محفوظ في رواية «اللس والكلاب» التي صدرت بعد ثورة الضباط الأحرار، قرّر أن يُفشل الحل الفردي لتتقية المجتمع المصري لمرحلة ما بعد الثورة من الخيانة والانتهازية بقرار فردي لا يستند فعل إنجازها إلى مرجعية جماعية بقدر ما يستند إلى رغبة محدودة في الانتقام.